نص أدبي حديث ومعاصر(تطبيق). الثانية ليسانس(الشعبة الأدبية) الأستاذ:عزوز سعيدي سياف

الحصة التطبيقية الثانية:

رواية " اللص والكلاب " لنجيب محفوظ:(دراسة في المضمون والشخصيات)

ملخص الرواية:

غادر سعيد مهران السجن في عيد الثورة بعد أن قضى عقوبة حبسية، ووجد نفسه وحيدا في الشوارع والطرقات، فانتابته مشاعر الحزن والرغبة في الانتقام من زوجته نبوية وعليش سدره ورؤوف علوان الذين غدروا به. وخلال الطريق من السجن إلى عطفة الصيرفي استيقظت فيه الذكريات المؤلمة، وشعر بأن الشوارع والمقاهي وعجلات الترام ونداءات الباعة لا تبعث فيه إلا مشاعر الحقد والكراهية لنبوية وعليش سدره. فاتجه إلى بيته الذي لم يعد بيته ليأخذ ابنته سناء من الخائنين، وفي البيت ذي الأدوار الثلاثة وأمام عداء المُخبر حسب الله فوجئ بجفول ابنته الصغيرة. فغادر البيت حاملا معه مرارة الخيانة والغدر ووجد نفسه بلا أهل ولا مأوى يحميه، فقد ضاع كل شيء، ولم يبق أمامه من ملاذ غير بيت الشيخ الزاهد علي الجنيدي ورؤوف علوان أستاذه القديم والصحفي الذي ينشر مقالاته في جريدة (الزهرة).

رؤوف علوان الذي يدين له بكل شيء . التعليم والنضال من أجل الحرية والعدالة... قلّب سعيد مهران صفحات جريدة (الزهرة) بحثا عن ركن أستاذه، فإذا به يُفاجأ بتحول أستاذه من الكتابة في موضوعات العدالة والحرية إلى الكتابة عن موضة السيدات ومكبرات الصوت. وأمام هول هذه المفاجأة راح يبحث عن رؤوف علوان زمان، فتذكر بيت الطلبة، وصورة رؤوف وإخلاصه، وانهالت عليه الأسئلة من كل الجهات...ماذا حدث؟ وجرفه تيار التذكر المتدفق إلى حادثة خيانة عليش سدرة ونبوية وسناء ابنته الصغيرة التي أنكرته، قرر سعيد مهران وهو تحت تأثير هذه الصدمة أن يقابل رؤوف علوان ليفهم وليحصل على نقود تساعده في محنته هذه، وأمام مبنى جريدة (الزهرة) بميدان المعارف هاله ما رأى، سيارات وحراس وأصوات المطابع. وعندما دخل هذا المبنى أحس بالغربة. فأدرك أن رؤوف علوان تحول من مجرد محرر بمجلة(النذير) إلى رجل عظيم، وأدرك أن هذا المكان لا يليق بلقاء صديقين... وخاف من أن يتنكر له رؤوف علوان، (سيف الحرية المسلول) فقرر مغادرة المبنى والتوجه إلى القصر حيث يسكن أستاذه وصديقه، فهناك سيكون

بإمكانه معانقة رؤوف علوان في القصر... بعد حفل الاستقبال أيقن سعيد مهران أن مثل هذا اللقاء لن يتكرر، وأنّ خيانة نبوية وعليش تهون أمام خيانة أستاذه لقيم ومبادئ الزمن الذي مضى، زمن الكفاح من أجل العدالة والحرية. طلب سعيد مهران من صديقه أن يشَغِّله في جريدته (الزهرة) ككاتب، فرفض رؤوف علوان الطلب ومنح صديقه القديم وتلميذه خمسة جنيهات، لم يعد ثمة أي شك أمام سعيد مهران، بأن الأستاذ القديم مضى وولى مثل ما مضى حب نبوية وولاء عليش، كما أدرك أن الخيانة أسمج رذيلة فوق الأرض، فإذا به يستعيد ذكرى ما جرى في عطفة الصيرفي وخيانة عليش الذي دل البوليس على مكانه غير أنه فطن إلى أن خيانة نبوية وعليش تهون أمام خيانة رؤوف علوان صاحب العقل والتاريخ. وعندما بلغ جسر عباس قرر العودة إلى السرقة، وارتأى أن يبدأ بقصر رؤوف علوان، لكن المحاولة باءت بالفشل، فقد ضبطه خدم القصر وطرده رؤوف علوان بعد أن استعاد منه الجنيهات، هكذا وجد نفسه في الشارع متجها إلى مقهى المعلم طرزان. وفي المقهى طلب سعيد مهران من المعلم طرزان أن يمده بمسدس وبعد أن تسلمه منه وهما في الطريق رجع بذاكرته إلى الوراء، إلى تلك الأيام التي كان رؤوف علوان يدربه فيها على القتال ويلقنه حكمته التي لا زالت تجلجل في رأسه... كان الأستاذ الروحي يقول له المسدس أهم من الرغيف ومن حلقة الشيخ علي الجنيدي... المسدس والكتاب، الأول يتكفل بالماضي والثاني بالمستقبل. وبعد تسلمه المسدس قصد سعيد مهران بيت نور، المرأة التي أحبته وآوته وفتحت له بيتها المطل على القرافة. طلب سعيد مهران من نور أن تساعده على سرقة سيارة زبونها ابن صاحب مصنع الحلوى، فقد كان في حاجة إلى سيارته ونقوده ليقتل عليش سدره ونبوية. وبعد سرقة زبون نور اتجه إلى البيت القديم لينفد جريمته . غير أنه أخطأ الهدف . وبدل قتل عليش قتل عاملا بريئا، لم يكن سعيد مهران يعلم أن عليش ونبوية رحلا عن البيت، وبهذه الجريمة أصبح مطاردا من البوليس والعدالة، فتعمقت جراح مأساته وحاصرته الكوابيس.

وفقدت الحياة في نظره معناها وقيمتها وجدواها، وأصبح بجريمته مـادة خصبة للجرائد، وجريدة (الزهرة) بالذات، وذاعت الفضيحة كالغبار، فلم يعد قادرا على الخروج من بيت علي الجنيدي إلا ليلا وكأنه طائر خفاش. وعندما غامر بالخروج قصد بيت نور المومس التي آوته وفي بيتها خاط بدلة ضابط مزورة يستعين بها على تنفيذ جريمته...بعدها قرر مغادرة بيت نور التي تركته وحيدا.

لم تعد مقهى المعلم طرزان ملاذا آمنا، فأدرك تحول رؤوف علوان إلى رمز للخيانة، وتحت هذا الرمز ترقد رموز أخرى اسمها نبوية وعليش وجميع الخونة على الأرض، ورأى أنه لا بد من الانتقام من الرمز الأكبر، لكنه عند التنفيذ أخطأ ثانية فقتل رجلا ضعيفا، وبهذه الجريمة وصل سعيد مهران إلى حافة الجنون فبعد أن كان يطمح إلى تغيير الكون، وبتأثير من أستاذه الذي تنكر لمبادئه، غدا مجرما يقتل الأبرياء، ويواجه مصيره وحيدا تحت وطأة الأسئلة القاتلة، فأحس بعبث الحياة والعزلة المقيتة، وفي القرافة، وبعد أن غادر بيت نور وجد نفسه محاصرا تحت رحمة رصاص البوليس فاستسلم بلا مبالاة...

شخصيات الرواية:

الشخصيات عي المحرك الأساس للحوادث في الرواية، وفيما يلي نحاول الوقوف عند أهم الشخصيات دون التطرق إلى بعض الشخصيات الثانوية التي يمكن للقارئ للرواية اكتشافها بسهولة، وقد حاولت إبراز الملامح المادية والنفسية لكل شخصية، لعل ذلك يفيد القارئ في التعرف على دورها في تحديد مجريات العمل الروائي، وهذه الشخصيات هي:

1. سعيد مهران:

هو بطل الرواية، ظهر في بداية الفصل وهو خارج من السجن حيث قضى أربع سنوات، ولا نعرف عن مواصفاته الذاتية وشكله الخارجي إلا بعض الإشارات التي قدمها السارد لشخصية سعيد في مواقف متعددة، تبرز لنا بعض ملامحه الذاتية منها:

« بدا سعيد...بعينين براقتين وجسمه النحيل القوي.» و « أسند رأسه المفلفل إلى يده المعروقة الدكناء.» و« قامته النحيلة المفتولة المتوسطة الطول.» و« بدا... غريب المنظر ببدلته الزرقاء وحذائه المطاط، وزاد من غرابته نظرته الحادة الجريئة وأنفه الأقنى الطويل.»

تلك هي مجمل الصورة الذاتي التي تمدنا بها الرواية عن شخصية سعيد. أما الصورة الثانية فنجدها في المواقف التي تحدث فيها البطل عن مهنته، وكيف احترفها. فسعيد مهران طوال حياته لم يعرف إلا حرفة واحدة، اضطر إليها منذ طفولته. وهي اللصوصية.

على أن الرواية تقدم لنا تصويرا مستفيضا لنفسية البطل ومشاعره وأفكاره في كثير من المواقف، فهو محقن بالغضب والتعطش إلى الانتقام من الذين تسببوا في سجنه والذين خانوه وتنكروا له: « وسيقف عما قريب أمام الجميع متحديا، آن للغضب أن ينفجر وأن يحرق، وللخونة أن ييأسوا حتى الموت». لقد غلبته المرارة واليأس فلم يعد يبالي بشيء.

2. سناء:

تحضر شخصية سناء بقوة في كل مراحل أحداث الرواية. ورغم أن ظهورها الفعلي ينحصر في الفصل الأول من الرواية حينما ذهب سعيد لرؤيتها عند غريمه عليش الذي تزوج أمها فإنَّ استحضارها في مواقف عديدة وخصوصا المواقف التي شعر فيها البطل بأزمات خانقة، كانت سناء تمثل فيها ذلك الخيط الرفيع والوحيد الذي ما زال يربطه بهذه الحياة الشقية.

ولا نعرف من ملامحها الجسدية إلا بعض المواصفات العامة التي جاءت في سياق اللحظة التي كان يترقب فيها البطل الالتقاء بابنته: « وعندما ترامى وقع الأقدام القادمة خفق قلب سعيد خفقة موجعة وتطلع إلى الباب وهو يعض على باطن شفتيه. مسح تطلع شيق وحنان جارف جميع عواصف الحنق. وظهرت البنت بعينين داهشتين...ظهرت بعد انتظار دام ألف سنة. وتبدت في فستان أبيض أنيق وشبشب أبيض كشف عن أصابع قدميها المخضوبتين، وتطلعت بوجه أسمر وشعر أسود مسبسب فوق الجبين فالتهمتها روحه»، وذكر من ملامحها كذلك «... العينين اللوزيتين والوجه المستطيل والأنف الأقنى الطويل.»

3. نور:

فتاة تربطها صداقة بسعيد مهران، تمتهن عملا غير شريف..لا نعرف عن شخصيتها الكثير سوى تلك الإشارات العامة الدالة على بعض مظاهرها الخارجية التي لاحظها سعيد بعد خروجه من السجن واستقبالها له، فهي في نظره « أنحل مما كانت واختفى وجهها تماما تحت المساحيق الدسمة، ونطق الإغراء فستان أبيض انطلقت منه الأذرع والسيقان بلا حرج، وقد شد حول جسدها كالمطاط حتى صرخ التهتك، وعربد شعر رأسها القصير وهي في تيار الهواء»، وهي « مثله في الثلاثين ولكنها تكذب علنا لتبدو أصغر... ».

على أن ما يميز شخصية نور هو مواقفها النبيلة، و عاطفتها المخلصة تجاه سعيد مهران. فهي من الشخصيات القلائل التي فتحت قلبها وبابها له دون تحفظ، رغم أنها تعلم أن سعيد لا يبادلها نفس الإحساس.

4. الشيخ علي الجنيدي:

هو أحد الشيوخ القدامى لصحاب والده، تعرف عليه سعيد أول الأمر حين كان صبيا؛ حيث رافقه والده إلى زاويته وقدمه له: « تلقاك الشيخ بنظرة عامرة بالحنان، فأُعجب أيما إعجاب بلحيته البيضاء. وقال يخاطب أباك: (هذا ابنك الذي حدثتني عنه، النجابة في عينيه، قلبه أبيض كقلبك وستجده إن شاء الله من الطيبين). والحق أنك أحببْت الشيخ علي الجنيدي جدا.فتنتْكَ وضاءة وجهه وشعاع المحبة المنبثق من عينيه. كذلك أعجبتْكَ الأنغام والأناشيد فلعبتْ بأوتار قلبك حتى قبل أن يهذبه الحب.»

إن هذه العلاقة والإعجاب المتبادل بين سعيد الطفل والشيخ على الجنيدي، سيستمران عبر السنين؛ إذ أصبح علي الجنيدي الملجأ الأساسي أو الأول الذي يحتمي به سعيد بعد ذلك في كل اللحظات التي لا يجد فيها ملجأ يأوي إليه.

وكل ما نعرف عن علي الجنيدي هو بعض الإشارات الدالة على هيبته ووقاره: « وجه نحيل فائض الحيوية بين الإشراق تحف به لحية بيضاء كالهالة، وعلى رأسه طاقية بيضاء منغزرة في سوالف كثة فضية...بعين رأت الدنيا ثمانين عاما». وغالبا ما يجده سعيد في كل زيارة متربعا على سجادة الصلاة غارقا في التمتمة بالأذكار، « ثم رأى الشيخ متربعا في هدوء يكتنفه البياض الناصع في الجلباب الفضفاض والطاقية واللحية.»

5. المعلم طرزان:

صاحب المقهى الذي كان يرتاده سعيد، وأحد الأصدقاء القدامى المخلصين له والمتعاطفين معه. لا نعرف عنه الشيء الكثير، ولم ترد أي إشارة تدل على صفاته الذاتية، وكل ما نعرفه عنه، هو تلك اللقاءات الخاطفة التي كانت تجمعه بسعيد، كلما التجآ إليه لطلب مساعدة ما. وقد كان دائم السند يمد يد العون لصديقه كلما طلب منه شيئا. فهو الذي لجأ إليه سعيد للحصول على مسدس لاستعماله في الانتقام من أعدائه. كما أن طرزان يعتبر الملجأ الوحيد الذي يذهب إليه سعيد ليستقي منه الأنباء التي تهمه عن

أعدائه وغرمائه ممن يتربصون به الدوائر ليوقعوا به. وكثيرا ما كان يحذره وينصحه بأخذ الحيطة في تنقلاته وتصرفاته من تعقب المخبرين والعملاء.

إن طرزان إلى جانب نور والشيخ علي الجنيدي يمثلون الشخصيات المساندة لسعيد أو القوى المساعدة التي تقف بجانبه في الأزمات التي تواجههن وخصوصا أثناء مطاردته، فكانوا جميعا السند الوحيد الذي يلقاه سعيد ماديا ومعنويا.

6. نبوية:

اسمها الحقيقي هو شلبية كما اعترفت بذلك لسعيد، تعرف عليه ايام كان طالبا، وكـان أول ما رآها: « مع العودة ذات مساء إلى بيت الطلبة بالجيزة رأيتها مقبلة تحمل سلة جميلة وجذابة، طاوية هيكلها على جميع ما قدر لي من هناء الجنة وعذاب الجحيم»، وقدمت له نفسها فقالت: « أنا يتيمة وليس لي إلا عمة.»

لقد كانت نبوية مجرد خادمة تعلق بها سعيد في شبابه لنضارتها وجمالها: « تعد زينة وسط أمثالها من الخادمات لذلك عرفت بخادمة الست التركية نسبة إلى تركية عجوز كانت تقيم بمفردها في بيت محاط بحديقة كبيرة... وكانت غنية ومتكبرة و تفرض على كل من يمت إليها بسبب أن يكون جميلا وأنيقا ونظيفا. فتبدت نبوية دائما ممشطة الشعر منسابة الضفيرة من العجز منتعلة شبشبا يطوق جلبابها حيوية جسد ثائر وحتى الأعين المسحورة أي أعين الآخرين وصفت جمالها بأنه جمال فلاحي لذيذ الطعم باستدارة الوجه الخمري والعينين العسليتين والأنف القصير الممتلئ والفم المتشرب بماء الحياة والدقة الخضراء في الذقن كالخال...تلوح لعينيه القامة البديعة والمشية الحبيبة وتقترب باعثة باقترابها أجمل مشاعر الحياة كأنها موسيقى عذبة تستقبل بها حيث حلت.»

لكن هذه البدوية الدلول خانته أثناء تواجده في السجن، مع عليش أحد أتباعه، ونسيت كل شيء وتآمرت عليه مع عليش.

7. عليش سدره:

أحد أصدقاء سعيد وأتباعه. لا نعرف عن صفاته الذاتية الشيء الكثير سوى تلك الصورة المقتضبة التي قدمت لنا وهو يستقبل سعيد مطران في بيته أثناء خروج هذا الأخير من السجن: « دخل عليش سدره

في جلباب فضفاض منتفخ، حول جسم برميلي، رافعا وجها مستديرا ممتلئ اللغد تحت ذقن مربع وأنف غليظ محطم العرنين.». ولكن عليش أصبح عدوا لذوذا لسعيد بعد أن خانه، وما فتئ سعيد يعبر عن حقده له في كل مناسبة، مثل قوله للشيخ الجنيدي في حقه: « ...حقير من أتباعي، تلميذ كان يقف بين يدي كالكلب... ومالي، والنقود والحلي، استولى عليها وبها صار معلما قد الدنيا وجميع أنذال العطفة أصبحوا من رجاله.»

8. رؤوف علوان:

تعود علاقة سعيد برؤوف علوان إلى أيام الدراسة في: « بيت الطلبة وتلك الأيام العجيبة الماضية، الحماس الباهر المتمثل في صورة طالب ريفي رث الثياب كبير القلب، والقلم الصادق المشع». وكان سعيد يعتبره في ذلك الوقت أعظم صديق له بفضل سلوكه وأخلاقه الحميدة، والمعاملة الحسنة، مثله في ذلك مثل الشيخ علي الجنيدي. هذه هي الصورة الإيجابية التي كان سعيد يحملها عن صديقه علوان ولكنه بعد ذلك يقدم لنا صورة أخرى مناقضة عنها، بدأها أولا بوصف مادي لجسمه إثر مقابلته بعد خروجه من السجن: « استقر البصر على وجه الأستاذ الممتلئ المستدير، ذلك الوجه الذي طالما عشقه وحفظه عن ظهر قلب لطول ما أحدق فيه منصتا...وجه امتلأ كوجه البقرة، وشيء خفي سرى في شخصه جعله ممتنعا رغم طلاقة الوجه وحسن السلوك وابتسامة الثغر وثمة رائحة سحرية لا تصدر إلا عن دم أزرق رغم أنفه المائل إلى الفطس وفكيه البارزتين». وسرعان ما انقلبت الصورة السابقة للصديق الحميم الوفي، إلى صورة العدو اللذوذ: « هذا هو رؤوف علوان الحقيقة العارية، جثة عفنة لا يواريها تراب.» إنه يعتبر موقف رؤوف علوان منه بعد خروجه من السجن خيانة لا تغتفر، ويضعه في نفس الخانة من اللائحة الطويلة لغرمائه الخونة الذين طعنوه في ظهره بمواقفهم وسلوكاتهم.

انتهـى